الفصل الرابع

قراءة سوسيولوجية في ملفات بعض قضايا الاتجار في الأعضاء البشرية

- تمهيد .
- أولاً : الخصائص العامة للمشترى .
- ثانياً : الخصائص العامة للوسطاء.
- ثالثاً : الخصائص العامة للضحايا والشبكات.
- رابعاً : أهم الاستخلاصات .

تمهيد:

يسعى الفصل الراهن إلى رسم صورة عامة لدورة مراحل عملية الاتجار في الأعضاء البشرية، وتحديد الخصائص الأساسية لكل طرف من أطراف عملية الاتجار من خلال قراءة اجتماعية متعمقة في بعض القضايا التي تمكنا من الحصول عليها عن طريق النيابة العامة أو المحاكم، وبالتالي فالقضايا المستخدمة في هذا الفصل تعد «مادة خام» سوف تساعدنا في رسم صورة حقيقية عن أطراف عملية الاتجار مع ملاحظة أن هذه القضايا سواء كانت قيد التحقيق أو انتهت وصدرت فيها أحكام بالإدانة أو البراءة فإن هدفنا من قراءة وتحليل القضايا هو تحديد الملامح العامة لأطراف عملية الاتجار بغض النظر عن الموقف القانوني لكل طرف. فنحن لسنا جهة قانونية تسعى لإثبات براءة طرف أو إدانة طرف آخر. لكن هدفنا الأساسي رسم صورة موضوعية لكل طرف من أطراف العملية.

لذلك يمكن التأكيد على ان قراءتنا في القضايا التى تندرج ضمن الدراسات الوصفية – التحليلية بعيداً عن تقديم تفسيرات نظرية أو افتراضية. ومن الضروري التأكيد على أن القراءة الحالية سوف تكون في تسع قضايا متنوعة ما بين جنحة وجناية. وكما سبق وأكدت أن هدفنا هو التركيز على خصائص أطراف عملية الاتجار المذكورين في القضايا بغض النظر عن الموقف القانوني.

وعلى غرار ما قمنا به في الدراسة الاستطلاعية التي اعتمدت على دراسة الحالة سوف نبدأ بأطراف عملية الاتجار حيث يتمثل الطرف الأول في المشتري. والطرف الثاني الوسطاء رئيسيون وفرعيون. والطرف الثالث هم الضحايا.

أولاً: الخصائص العامة للمشتري:

- أكدت قراءة القضايا على أن المشتري دائمًا ما يتمتع بقدرة مالية عالية. وهو ما يعبر عن ارتفاع المستوى الاجتماعي – الاقتصادي لمن يقومون بعملية الشراء. فقد وصلت زراعة كلية إلى ٤٢ ألف دولار.

- لم يظهر من خلال القراءة في القضايا بعض الخصائص المرتبطة بالسن والتعليم والمهنة والحالة الاجتماعية للمشتري وإن كنا نستطيع أن نؤكد أن المرض يتقاطع مع كل هذه الخصائص فالمريض قد يأتي من كل المراحل العمرية ومن كل المستويات التعليمية والمهنية بالطبع يأتي من أي حالة اجتماعية سواء كانوا متزوجين أو غير متزوجين أو أرامل ومطلقون.

- أكدت القراءة أن هناك تنوعًا فيما يتعلق بالنوع، فالمشتري قد يكون رجلاً أو امرأة فهناك حالات متنوعة وإن غلب الرجال على النساء إلا أن هناك حالات غير قليلة من النساء «سيدة» لكن الملاحظة الجديرة بالتسجيل أن هؤلاء النساء المشترين جميعهن يشترون من رجال وليس من نساء مثلهن.

- لم يتضح من قراءة القضايا السياق الاجتماعي الذي يأتي منه المشتري هل هو السياق الريفي أم الحضري لكن المؤكد أنه مهما كان السياق فهو سياق غني سواء كان ريفيًا أو حضريًا.

- اتضح من قراءة القضايا تنوع جنسيات المشتري فهو إما مصري أو عربي، وهناك نسبة كبيرة من المشترين من دول عربية غنية خاصة دول الخليج.

ثانيًا: الخصائص العامة للوسطاء

١- الوسطاء الرئيسيون:

أ- الأطباء المتخصصون:

- يعد الأطباء المتخصصون في أمراض الكلى غالبًا وأكيد نادرًا هم الوسيط الأول في عملية الاتجار، فالقراءة في القضايا أوضحت أنهم المتهمون الرئيسيون في هذه القضايا. حيث يقومون بعملية الوساطة بن البائع والمشتري ويقومون بإجراء العمليات وقد يقومون في بعض الأحيان بسرقة العضو من الضحية أو النصب عليه وعدم إعطائه المبلغ المتفق عليه.

- غالبًا ما يكون هؤلاء الأطباء ذات مستوى اجتماعي – اقتصادي مرتفع نظرًا للمبالغ الضخمة التي يحصلون عليها من عملية الاتجار ومنهم من يسكن في المناطق الحضرية الراقية ويشيدون فيلات للإقامة.
- في الغالب يتميز هؤلاء الأطباء بمهارات كبيرة في مجال نقل وزراعة الأعضاء ويتمتعون بشهرة في هذا المجال.
- غالبًا ما يكون هؤلاء الأطباء قد تخطوا مرحلة منتصف العمر.
- وقد أوضحت القراءة أن هؤلاء الأطباء يمتلكون عيادات خاصة إلى جانب العمل في مستشفيات استثمارية كبرى.

ب- معامل التحاليل

معامل التحاليل الطبية ذات الإمكانات المتقدمة ذات الشهرة الكبيرة هي التي تم ذكرها في قضايا الاتجار، فالمعامل كوسيط في عملية الاتجار ليست معامل التحاليل الصغيرة بل لابد أن تكون معامل على مستوى رفيع لأنها تقوم بإجراء تحاليل على مستوى عال تحتاج إلى إمكانات كبيرة خاصة وأن هذه التحاليل المرتبطة بالأنسجة وتوافقها لا تتم مرة واحدة بل على مراحل.

ج- المستشفيات:

تؤكد قراءة القضايا أن المستشفيات الكبرى والاستثمارية هي الشريك الرئيس والوسيط الأهم في عملية الاتجار فقد تم ذكر مستشفيات استثمارية ذات شهرية كبيرة (وادي النيل – السلام الدولي – النزهة الدولي – الجنزوري) وبالطبع لابد أن تتوافر في هذه المستشفيات غرف عمليات كبيرة ومجهزة وغرف للعناية الفائقة.

وعلى الرغم من ذلك فإن هناك بعض المراكز الطبية الصغيرة (مستشفى الهدى الاسلامي) اهتمت بإجراء هذه الجراحات دون ترخيص وإن كان ذلك لم يثبت بشكل قطعي. وهناك استغلال لبعض المراكز الطبية الصغيرة للإعداد والتجهيز ثم الانتقال للمستشفيات الكبرى لإجراء الجراحة.

٢- الوسطاء الفرعيون:

- يتميز الوسطاء الفرعيون كما أوضحت القضايا بأنهم من مستويات اقتصادية متدنية.
- وتشير القضايا على أن أعمارهم غالبًا ما تكون شابة.
- وتؤكد القضايا أنهم يعملون في مهن مساعدة في المجال الطبي أو سائقين لدى بعض الأطباء أو مندوبي مبيعات.
- تشير القضايا إلى أن الوسطاء جميعهم من الذكور.
- وتؤكد القضايا على أنهم يتميزون بمستوى تعليمي منخفض.
- وتؤكد القضايا على أنهم يسكنون في مناطق شعبية وعشوائية وفي مساكن شعبية في المدن الجديدة (السيدة زينب – اسطبل عنتر – ٦ أكتوبر) فغالبية هؤلاء الوسطاء يعيشون في العاصمة.
- تشير القضايا إلى أنهم يقومون بابتداع حيل منها إيهام الضحايا بالبحث عن عمل وتوفير فرص للسفر.
- تؤكد القضايا على أنهم يقومون باصطياد الضحايا من الشوارع والمقاهي والمناطق السكنية التي يقيمون فيها (اسطبل عنبر – عزبة خير الله).
- تشير القضايا إلى أن الوسطاء ينتمون إلى جنسيات مختلفة (مصريين – سودانيين).
- تؤكد القضايا على أن الوسطاء إلى جانب العمل في تجارة الأعضاء يقومون بتزوير الوثائق والمستندات كعمل مسهل لعملية الاتجار في الأعضاء البشرية.

ثالثًا: الخصائص العامة للضحايا والشبكات:

- تشير القضايا إلى أن الضحايا ينتمون إلى مستوى اقتصادي منخفض ويمرون بأزمات مالية شديدة.
- تشير القضايا إلى أن الضحايا يقعون في الشريحة العمرية الشابة ١٥- ٤٥ عامًا .
- أوضحت القضايا أن كل الضحايا من الذكور ولا توجد امرأة واحدة وهو ما يمكن تفسيره بأن النساء أقل قدرة من الرجال على مواجهة عملية الوصمة الاجتماعية فإذا تم النصب عليها فغالبًا ما تخاف من الإبلاغ عن عملية النصب.
- تؤكد القضايا على أن غالبية الضحايا من غير المتزوجين.
- تشير القضايا إلى أن الضحايا يعملون في مهن حرفية وهامشية ويعاني بعضهم البطالة.
- تؤكد القضايا على أن بعض الضحايا (عدد ٦ أفراد) يقيمون بالشوارع (ميدان السيدة زينب أمام المسجد، وميدان رمسيس أمام مسجد الفتح).
- تشير القضايا إلى أن الضحايا يعيشون في السياق الحضري الشعبي والعشوائي وإن كان هناك بعض الضحايا قد ولدوا في الريف خاصة من صعيد مصر وهاجروا إلى العاصمة. ويقيمون في السياق الاجتماعي العشوائي (اسطبل عنتر- عزبة خير الله).
- تؤكد القضايا على أن الضحايا يحصلون على مبالغ متفاوتة تراوحت بين خمسة آلاف ومائة وعشرون ألف جنيه وإن كان المبلغ الأخير لم يدفع وتم النصب على الضحية لذلك قام بالإبلاغ. ويعد مبلغ العشرة آلاف جنيه هو الأكثر ذكرًا من قبل الضحايا.

- تشير القضايا إلى أن الضحايا من جنسيات مختلفة سواء كانت مصرية وعربية (أردني – يمني – سوداني).
- تشير القضايا إلى وجود شبكات للإتجار لم تعد تتم العملية بشكل فردي بل أصبحت هناك تشكيلات من جنسيات مختلفة (مصري – أردني – سعودي).
- تؤكد القضايا على أن الشبكات المصرية تعتمد على بعض الضحايا من أطفال الشوارع حيث تغريهم بالمال وتعطي بعضهم مبلغ ١٥ جنيهًا مصريًا يوميًا خلال فترة الفحوصات والتحاليل وهي مرحلة التجهيز للعملية. ثم يمنح مبلغ عشرة آلاف جنيه بعد إتمام الجراحة.
- أكدت القضايا على أن الشبكات المصرية تقوم باستئجار وحدات سكنية في مناطق عشوائية بعيدة (حلوان) لإقامة الضحايا خلال مرحلة الفحوصات والتجهيز للعملية.
- تؤكد القضايا على أن الشبكات المصرية قد تمارس عملية الاتجار بشكل مباشر أي تعلم الضحية بطبيعة المهمة التي سوف يقوم بها، أو أن تمارس عملية الاتجار بشكل غير مباشر بحيث لا تعلم الضحية بطبيعة المهمة، وفي الحالة الأولى يكون الضحية بائعًا إنما في الحالة الثانية يكون الضحية مسروقًا، ومن الغريب أن من يقوم بهذا العمل شبكة واحدة نفس الوسطاء سواء رئيسيين أو فرعيين.

رابعًا: أهم الاستخلاصات

يلاحظ من خلال عرض الخصائص العامة لأطراف عملية الاتجار في الأعضاء البشرية عن طريق قراءة وتحليل القضايا أنها تتشابه إلى حد كبير مع ما أكدته دراسة الحالة سواء فيما يتعلق بخصائص المشتري أو الوسطاء أو الضحايا وإن كانت هناك بعض الأمور لم تتضح من خلال القضايا مثل الخصائص التعليمية

وحجم الأسر، إلا أن هذه الخصائص يمكن استنتاجها بشكل غير مباشر من خلال السياق الاجتماعي الذي يعيش فيه الضحايا وطبيعة المهن.

ولعل من الأمور الإيجابية التي كشفتها قراءة القضايا ولم تتضح من خلال دراسة الحالة: طريقة عمل الشبكات بشكل جماعي وليس فرديًا وطرق اصطياد الضحايا وكيفية التعامل معهم.

وبذلك تكون الصورة المرسومة من خلال القضايا والصورة المرسومة من خلال دراسة الحالة ليست متطابقة تطابقًا تامًا. وهو ما يمكننا من رسم صورة مركبة أكثر ثراء لأطراف عملية الاتجار في الأعضاء البشرية.